الرئيس جو بايدن بربطة عنق حمراء!

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

"على الرغم من أننا لسنا في مكان واحد وجها لوجه، إلا أني لا أرى هذا الأمر مقلقا، بل أشعر بسعادة كبيرة لرؤية صديقي القديم".

هكذا افتتح الرئيس الصيني شي جين بينغ مداخلته في الحوار الافتراضي مع نظيره الأميركي الرئيس جو بايدن؛ الحوار الذي اتسم بما يمكن أن نطلق عليه "التهدئة" التي قد تؤدي إلى خطوة خجولة من ودّية ممكنة بين الطرفين.

فعبارة "صديقي القديم" التي أطلقها شي على بايدن تعني الكثير في اللغة الدبلوماسية للصين، كما أخبرني زميلي مراسل مجموعة شنغهاي للإعلام في المكتب الصحافي للبيت الأبيض الذي يجيد اللغة الصينية. فبينما ظهر الرئيس شي على الشاشة بربطة عنق زرقاء برمزية تشير إلى اللون الديمقراطي الأميركي، كان الرئيس بايدن يرتدي بالمقابل ربطة عنق حمراء إشارة، على ما يبدو، إلى لون الصين المفضّل سياسيا.

ناقش الزعيمان النقيضان، وكل من طرفه ومن مرجعيته السياسية، طبيعة العلاقة المعقّدة التي يدور بلداهما في فلكها، مشدّدين على أهمية التوصّل إلى إدارة المنافسة بين العملاقين الصيني والأميركي بمسؤولية كاملة وتوازن منطقي تجنبا لأي مواجهات محتملة.

أشار الرئيس بايدن إلى أن الولايات المتحدة ستستمر في الدفاع عن مصالحها وقيمها، وستقوم بالتعاون مع شركائها وحلفائها بمواجهة تحديات العصر كافة، وكذا إيجاد أفضل السبل التي تمكنها من أن تقدّم للعالم في القرن الحادي والعشرين نموذجا دوليا حرا، منفتحا، وعادلا، يُحتذى به.

وأثار الرئيس بايدن بشفافية تامة مخاوفه لجهة ممارسات جمهورية الصين الشعبية المقلقة في إقليم سنجان ذي الأغلبية المسلمة وفي التبت وهونغ كونغ، وذلك في جملة انتهاكات لحقوق الإنسان، وعلى نطاق واسع.

كما كان واضحا بشأن الحاجة إلى حماية العمال والصناعات الأميركية من الممارسات التجارية والاقتصادية غير العادلة للصين ووجوب منع التعديات على الملكية الفكرية الأميركية.

وأكّد بايدن أهمية الحفاظ على مساحة المحيطين الهندي والهادئ الجغرافية كمنطقة حرة وآمنة ومفتوحة، موضحا لنظيره الصيني عزم الولايات المتحدة المتواصل على الوفاء بالتزاماتها لحماية الأمن الملاحي في هذا المجال الحيوي من العالم.

فصل المقال يكمن في المصالح الحيوية الخاصة بكل طرف تلك التي تقف حائلا دون التقدم لإيجاد أرضية مشتركة بهدف المضي في عملية تهدئة حين تتناقض المصالح وتتنافر بشكل يصيب العالم بالهلع

الرئيس شي الذي كان يظهر على الشاشة جالسا أمام خلفية صينية تقليدية مع فنجان شاي صيني إلى جانبه الأيمن وفنجان قهوة على جانبه الأيسر، تحدّث لمدة لا تزيد على أربع دقائق بما فيها فترة الترجمة الفورية، وجاءت معظم ملاحظاته بلهجة هادئة تدعو إلى زيادة التواصل والتعاون بين البلدين بالرغم من التحديات التي تواجههما.

أشار الرئيس الصيني إلى ضرورة أن تركّز كل من الصين والولايات المتحدة على شؤونهما الداخلية أولا، وفي الوقت نفسه يتعيّن أن تتقاسما المسؤوليات الدولية الملقاة على عاتق البلدين كقوتين عظميين وعضوين في مجلس الأمن، والعمل معا لدفع قضايا السلام والتنمية في العالم.

ونوّه شي إلى أن العلاقة الصينية – الأميركية السليمة هي أمر جوهري لتحقيق التوازن بين الإدارتين في كلا البلدين، ولتمكين وحماية بيئة دولية سلمية ومستقرة، بما فيه الاستجابة العالمية للتحديات العالمية، كأزمة تغير المناخ، وتحديات وباء كوفيد – 19.

وتوجّه أخيرا إلى الرئيس بايدن بالقول "على الصين والولايات المتحدة احترام بعضهما البعض، والتعايش في سلام. إنني على استعداد للعمل معكم للتوصل إلى توافق، واتخاذ خطوات فعالة بشأن دفع العلاقات الصينية – الأميركية إيجابا وإلى الأمام، وتعزيز مصالح شعبينا، وتلبية ما يتوقّعه المجتمع الدولي من كلينا".

هذا ما كان من أجواء اللقاء بين الزعيمين اللدودين بايدن وشي. أما عن الدلائل والإشارات التي بثّها اللقاء، وفي قراءة سريعة للهجة التي سار على متنها الرئيسان، فإن الانطباع الغالب هو رغبة الطرفين الجلية، على الأقل في الوقت الحالي، في النزوع إلى التهدئة ثم التهدئة ثم التهدئة.

مردّ هذا التوجه يرجع إلى أن معظم القضايا المعلّقة بين البلدين هي على درجة من التعقيد بما لا يمكن تجاوزه، أو حتى تلطيف أجوائه في أضعف الأحوال، من خلال رسائل مشفّرة لألوان ربطتي العنق حول رقبة الزعيمين، أو بمناداة الخصم الأميركي بصفة "الصديق القديم".

إنها ببساطة لغة دبلوماسية لا يتقنها الخصمان إلا حين يقتربان بشكل خطير من الحافات، بينما يدركان تماما حجم كل واحد منهما على حدة، ومدى الضرر الذي سيحدثه صدام محتمل بينهما على مستوى شعبيهما والعالم في آن.

إلا أنه من المفيد أن تتطور هذه اللهجة بين الطرفين إلى حالة متّصلة، ولاسيما في هذه الفترة الأميركية التي يسوسها الديمقراطيون على الأقل لمدة أربع سنوات من إدارة الرئيس بايدن؛ فهم محترفون أشداء للدبلوماسية البعيدة المدى، ويعتقدون بصورة راسخة أن ما تحققه لغة الحوار تعجز بالتأكيد عن تحقيقه لغة الحرب بكل أشكالها، عسكرية كانت أم اقتصادية أم ثقافية أم سايبيرية.

فصل المقال يكمن في المصالح الحيوية الخاصة بكل طرف، تلك التي تقف حائلا دون التقدّم لإيجاد أرضية مشتركة بين بكين وواشنطن بهدف المضي في عملية تهدئة إسعافية حين تتناقض المصالح وتتنافر بشكل يصيب العالم بالهلع. وأكثر ما يُخشى أن لغة التعاطف التي بدت في هذا اللقاء "الافتراضي" ستبقى في عالم الافتراض حصرا، ولن يكون بإمكانها أن تتقدّم لتصير واقعا معيشا يحكم العلاقة بين البلدين.

الذي يفرّق العملاقين في هذه الحالة أعمق من الذي يمكن أن يجمعهما على ساحة واحدة، بل قد يضيق بهما المكان مهما عظُم نظرا للحجم الاقتصادي والسياسي والعسكري لكليهما؛ الحجم الذي سيحكم ميزان القوة حين تريد كل من الصين والولايات المتحدة الاحتفاظ بكفّته راجحة لطرفها.

تونس: لا أحد يريد أن يوقع صكا على بياض في مهب الأزمات

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

غالبا ما يحتار المعنيون بالشأن التونسي من مراقبين ومحللين، في قراءة وتوصيف مجتمع ما بعد الرابع عشر من يناير 2011، إن كان يتميز بالصبر والتحمل لنخبه السياسية الجديدة، ذات الأيادي المرتعشة أم هو شديد النزق والتسرع في الحكم عمن أولاهم ثقته عبر آليات ديمقراطية مازالت هشة وغير مكتملة النضوج.

الحقيقة التي تطل برأسها عند كل حراك سياسي واجتماعي في هذا البلد هو أن الشعب التونسي، وبعد تجارب مريرة مع من كان يظنهم بالأمس القريب "يخافون الله"، لن يوقّع صكّا على بياض لأي كان.. حتى وإن كان هذا الشخص قد جاء ليخلّص التونسيين من أولئك الذين خدعوهم باسم خشية الله.

نظرة خاطفة تسترجع، وبالحركة السريعة، والبطيئة أحيانا، شريطا من الأحداث لنحكم إن كانت الجماهير التي خرجت يوم الخامس والعشرين من يوليو الماضي تطالب بإسقاط الحكومة والبرلمان، تتصف بالصبر أم بالتسرع.. من يدري.. ربما تجمع النقيضين معا.

عشر سنوات من التخبط والرؤية الضبابية لواقع اقتصادي واجتماعي مرير، على خلفية ظروف أمنية مضطربة وفي ظل 8 حكومات سيطرت عليها حركة النهضة، تأتمر بأمرها أو تشل حركتها على الأقل، ها هو قيس سعيّد، الرئيس الخامس للبلاد خلال مدة لا تتجاوز 10 سنوات، يحسم أمر هذا المشهد القاتم، يجمّد البرلمان، يحل الحكومة، ويعيّن رئيسة وزراء بعيدا عن الأحزاب التي أدار إليها ظهره في انتظار ما سيؤول إليه أمر البرلمان من انتخابات تشريعية مبكرة واستفتاء على الدستور.. وماذا بعد؟

الشعب التونسي، وإن كان في غالبيته، قد رحّب بهذه الإجراءات التي لم يعارضها إلا خصوم سعيّد من حركة النهضة وحلفائها، فإنّ الأمور لا تُسيّر على هذا النحو من التبسيط والتجاهل لما ينبغي أن تكون عليه دولة وضعت قدمها في ركاب الديمقراطية الوليدة، وقطعت مع الحكم الفردي مرة واحدة، وإلى الأبد.. ثم أن العصافير التي غادرت أقفاصها لن تعود إليها ثانية.

يعلم الرئيس سعيّد أستاذ القانون الدستوري، قبل غيره، أن دولة المؤسسات التي ينشدها هو وباقي مناصريه ومعاضديه من فصائل المجتمع المدني ذي الحضور الفاعل القوي في تونس أكثر من أي دولة عربية أخرى، لا يمكن لدولة القانون هذه، أن تقوم بالتعسف على القانون مهما كانت النوايا حسنة.

الحارس الذي لا يغمض له جفن عن كل هذه المستجدات، ويتابعها بمنطق المؤتمن والمسؤول الذي يمتلك المشروعية التاريخية هو الاتحاد العام التونسي للشغل، أقوى المنظمات النقابية في تونس، والراعي الضامن لأي حوار وطني من شأنه أن ينقذ البلاد من أي منزلق خطير.

ويعلم الرئيس التونسي أيضا، أنه لا يمكن إقصاء اتحاد الشغل من مسار ما بعد الخامس والعشرين من يوليو بل لا حوار أصلا، ولا استقرار، من دون هذه المنظمة التي تتمتع بثقة الجميع، وذلك ليس على سبيل المباركة المتأتية من منطق الوصاية، فالاتحاد ليس أشبه بـ"البطريرك الماروني الذي ينبغي أن يكون على مسافة واحدة من جميع مسيحيي لبنان"، وإنما لنزاهة اكتسبها من تاريخه النضالي في سبيل الدولة الوطنية.

ما يحسب لقيس سعيّد أنه أقدم على هذه الإجراءات في ظروف اقتصادية واجتماعية غاية في الصعوبة ولم يكن من صنف السياسيين الذين يختارون اللعب مع اتجاه الريح وفي ظروف مثالية

وإن ساند اتحاد الشغل الرئيس سعيد في "حركته التصحيحية" (كما تحب أن تسميها فئة العروبيين من أنصاره في التيار الشعبي)، فإنه "لن يقدم صكا على بياض لأي كان، وأن لا أحد يمكنه أن يرسم مستقبل البلاد من دون مشاركة المنظمة النقابية"، مشددا على أنه "لا عودة للحكم الفردي" كما جاء على لسان أمينه العام نورالدين الطبوبي، في تأكيد بأنّ مساندة سعيد في حملته التطهيرية التي تستهدف رموز الفساد، لا تعني أن يبصم له على كل شيء، خصوصا وأن التململ قد بدأ يظهر واضحا كما ورد أخيرا في تصريح الأمين العام المساعد في اتحاد الشغل سامي الطاهري، الذي قال إن "فترة الصمت والانتظار قد طالت أكثر مما يجب".

الانتظار هنا يعني المطالبة بالتعجل، وليس الاستعجال، في إيجاد حلول ومقاربات تخص المجلس النيابي، وعلى أساس دستوري لا تشوبه شائبة، كما أن السرعة لا تعني التسرع، والبطء لا يعني التباطؤ.. إلى آخر ما هنالك من انزياحات وانشغالات لغوية مفتون بها الرئيس سعيّد في خطاباته وقد عرضته لانتقادات من طرف خصومه السياسيين، وكذلك للكثير من التنمر على مواقع التواصل الاجتماعي، لكن لا أحد يجرأ على الطعن في مصداقية الرجل ونظافة يده وضميره.. ولعل بسبب ذلك، حاولت حركة النهضة التركيز على النقطة الدستورية دون غيرها فيرد عليهم أستاذ الدستور بأنه يمشي دائما في كنف الدستور ولكن بسؤدد وتأنّ.. وهذا هو "مربط الفرس" كما يقول المثل الشائع.

المشكلة أن مساندي سعيّد باتوا يخشون عليه من صدقيته ونزوعه نحو ضرورة التأني دون أن يفقد الحزم، وذلك حتى لا يترك الفرصة لأعدائه السياسيين فيؤلبون عليه الدول الغربية متذرعين بأنه يستحوذ على كل السلطات ويجمد العمل البرلماني.

وفي هذا الصدد، دوّن الطاهري الناطق باسم الاتحاد "لا لعودة المجلس النيابي المجمد الذي عانى منه التونسيون الأمرين. يلزم خطوة إلى الأمام الآن واليوم. وأي تأخير هو فرصة للمستنصرين في الخارج".

ومع ذلك، فإن ما يحسب لسعيّد، كونه أقدم على كل هذه الإجراءات في ظروف اقتصادية واجتماعية غاية في الصعوبة، ولم يكن من صنف السياسيين الذين يختارون اللعب مع اتجاه الريح وفي ظروف طبيعية مثالية.

الأزمة المعيشية التي يعاني منها المواطن التونسي قد تجعل صبره ينفد مهما آمن بجدوى إجراءات الرئيس سعيّد؛ عرف أن البلاد تعيش أزمة اقتصادية خانقة تجعل حكومة نجلاء بودن بين مطرقة المطالب الشعبية وسندان صندوق النقد والدول المانحة، وهي التي يتربص بها الإسلاميون وحلفاؤهم ويتصيدون لها الأخطاء.

وفي هذا الصدد، قال الأمين العام المساعد للاتحاد سمير الشفي إن الوضع الاجتماعي في تونس صعبٌ جدا وينذر بانفجارات اجتماعية، معتبرا أن التنكّر للوضع الاجتماعي بتعلة صعوبة الوضع الاقتصادي مقاربة فاشلة ولا يمكن أن تؤدي إلّا إلى المزيد من الأزمات الاجتماعية.

ليس لأزمات تونس التي يحاول الإسلاميون استثمارها في الداخل والخارج، غير طاولة الحوار بين الاتحاد والحكومة، وقد بدأت فعلا، وأول الغيث قطرة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk